﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨﴾ [الأعراف: 198]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرَّبطُ بين عجزِ الآلهة عن النَّفع والـضُّـرِّ، وبين كونِها لا تسمعُ ولا تبصرُ شيئًا

لمّا ذكرَ عجزَ آلهتِهم الَّتي يدعونها من دون اللّٰهِ عن جلبِ النَّفع أو دفع الضُّرِّ عن أنفسها، بلْه عن غيرها - ترقَّى في بيان عجزها عن السَّماع والإبصار، فلا يُرجى منها خير ألبتة، فبَعْدَ أنْ نَفَى قُدْرَتَهُم على النَّصْرِ؛ قَفَّى عليه بنَفْيِ قُدْرَتِهم على الإرْشادِ إليه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنظُرُونَ﴾: مِنَ النَّظرِ، وهو تَأمُّلُ الشَّيْءِ ومُعايَنَتُهُ، ثُمَّ يُسْتَعارُ، ويُتَّسَعُ فيهِ، فيُقالُ: نَظَرْتُ إلى الشَّيْءِ أنْظُرُ إليه؛ إذا عاينْتُهُ، والنَّظَرُ: تَقْليبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدراكِ الشَّيءِ ورؤيَتِه وفحصه، وقد يطلق، ويرادُ به تصويب عين الشَّخص أو التِّمثال إلى شيءٍ دون إدراك، وهو المراد هنا[2].

2) ﴿يُبۡصِرُونَ﴾: من البصر، يُقالُ: رَأيْتُهُ لَمْحًا باصِرًا، أيْ: ناظِرًا بتَحْديقٍ شَديدٍ. ويُقالُ: بَصُرْتُ بالشَّيْءِ؛ إذا صرْتُ به بَصيرًا عالِمًا، وأبْصَرْتُهُ؛ إذا رأيْتُهُ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانُ أنَّ الأصنامَ لا تسمعُ هدايةً، ولا تبصرُ بأعينِها الجامدةِ شيئًا

أي: وإن تدعوا هذه الأصنامَ إلى الهدايةِ والرَّشادِ، لا يسمعوا دعاءَكم، فضلًا عن المساعدة والإمداد، وتراهم يقابلونَكَ بعيونٍ مصوَّرةٍ، كأنَّها ناظرةٌ، وهي جمادٌ لا تبصر؛ لأنَّ لهم صورةَ الأعينِ، وهم لا يرون بها شيئًا.

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 443/9.
(2) ابن فارس، معجم المقاييس، والرّاغب، المفردات: (نظر).
(3) ابن فارس، معجم المقاييس، والرّاغب، المفردات: (بصر).

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في قولِهِ: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾:

من دعا غيرَ الرَّحمنِ، آبَ بالخيبةِ والخسرانِ

الواو عاطفةٌ على جملة: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ﴾، لبيان عجزِهم عمّا هو أدنى من النَّصر، وهو مجرَّدُ السَّماع، والمعنى: وإن تَدْعوهُم إلى أن يهدوكم إلى ما تحصِّلون به مقاصدَكم على الإطلاقِ، فإنَّهم لاَ يَسْمَعون لكم دعاءً، ولا يلبّون لكم طلبًا، فضلًا عن المساعدة والإمدادِ[1].

إيثارُ (إن) على (إذا):

من دعا من لا يفقَهُ ولا يسمعُ، لا يستحقُّ أن يحترمَ ولا أن يُرفعَ

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ﴾ أوثرت (إن) على (إذا)؛ لأن استعمال (إن) للتَّنبيه إلى ضعف الاحتمالِ، والشَّكِّ في وقوعِ الفعلِ؛ للتَّلميح بسفاهة من يقدِمُ على دعوة الأصنامِ، وحماقةِ من يفعلُ ذلك دونَ أدنى تأمُّلٍ في عجزها.

دلالةُ فعلِ الشَّرطِ: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾:

نفيُ القليلِ أدلُّ على نفي الكثيرِ، ومعدومُ النَّفعِ لا ينفعُ

أوثرَ التَّعبيرُ بالفعل ﴿تَدۡعُوهُمۡ﴾ دونَ (تسألوهم) أو (تستهدوهم)؛ للدَّلالة على نفي القليل، وهو الدُّعاء، ممّا يكون أدلَّ على نفي الكثير، وهو ما فوقه من السُّؤالِ أو طلب الهدايةِ، ولأنَّ وقوعَ فعل الدُّعاءِ شرطًا - دليلٌ على تكراره منهم، فالعجبُ كلُّ العجب ممَّن يعلم أنَّه مهما يكن من دعاء لهذه الأصنام، فإنَّها لا تسمع، فضلًا عن أنَّها لا تستجيب، ولم يُجرَّبْ عليها أنَّها هَدَت طالبًا للهدايةِ في يومٍ ما.

فائدةُ صيغةِ المضارعِ:

تجدُّدُ دعائِهم واستمرارُهُ، استجداءٌ من المبؤوس منهم

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ﴾، استُعْمِل الفعل المضارع؛ للدَّلالةُ على تجدُّد دعائهم واستمراره، كما يشيرُ إلى دعوةِ هؤلاء المشركين إلى تدبُّر أمرهم، فلو نظروا إلى أنفسِهم في مرآةِ الحقيقة لازدرَوا أنفسَهم؛ إذْ كيف يُطيقون استحضارَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 307/3.

صورتهم - وهم الملأ - يُطأطِئون رؤوسَهم لأصنامٍ لا تسمع، طالبين منهم هداهم؟

سرُّ التَّعبيرِ عن المفعولِ بالضَّميرِ المتَّصلِ:

دعـوةُ الأصنـامِ إلى الـهـدى، زيادةٌ في التَّهكُّم والاستهزاء

في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، التَّعبير عن المفعول - الأصنام أو المشركين - بالضَّميرِ المتَّصل نوع تهكُّم؛ إذْ كيف يعدّون هذه الأصنامَ أهلًا للخطاب، فتُدعَى إلى الهدى؟ يقولُ جلَّ ثناؤه لنبيِّه محمَّدٍ ﷺ: قل للمشركين: وإن تدعوا - أيُّها المشركون - آلهتَكم إلى الهدى، وهو الاستقامةُ إلى السَّداد، لا يسمعوا[1]، وذهب الحسنُ إلى أنَّ المرادَ بهذا: المشركون، فيكون المعنى: وإن تدعوا - أيُّها المؤمنون - المشركين إلى ﴿ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾، أي: لا يعقلوا بقلوبهم[2].

العدولُ عن (وإنْ تهدوهُمْ):

انتفاءُ الدَّعوةِ والاستجابةِ دليلٌ على يأس هؤلاء، وعجز أولئك

أوثرَ التَّعبيرُ بقوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، وعدلَ عن (وإنْ تهدوهُمْ) وهو أخصرُ؛ لاستبعاد حصول مجرَّد الدَّعوة منكم، واستحالةِ وقوع الاستجابةِ منهم، ولا يستقيم وضع (تهدوهم) موضعه؛ لأنَّ فيه رائحةَ القدرةِ على السَّماع وهذا غيرُ مُتَحَقَّقٍ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ بدلًا من غيرِه:

الدَّلالةُ على ما في دعوتِهم من الإغراءِ لما فيه نفعُهم ونجاتهم

أوثرَ التَّعبيرُ بـ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ للدَّلالةِ على ما في دعوتِهم من الإغراءِ لما فيه نفعهُم وصلاحهُم، والهُدى على هذا الوَجْهِ ما يُهْتَدَى إليه، والمَقْصودُ مِن ذِكْرِه أنَّهُم لا يَسْتَجيبونَ إذا دَعَوْتُموهُم إلى ما فيهِ خَيْرُهُم، فيُعْلَمُ أنَّهُم لَوْ دَعَوْهُم إلى غَيْرِ ذلك؛ لَكانَ عَدَمُ اتِّباعِهم دَعْوَتَهُم أولَى[3].

سرُّ العدولِ عن عبارة (لا يهتدوا):

عُدِلَ عن قول: (لا يهتدوا) إلى قول: ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾، لأنَّ نفيَ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 324/13.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 537/9.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 218/9.

السَّماعِ عنهم أبلغُ من نفي الاهتداءِ؛ إذ إنَّه أدلُّ على عجزِ آلهتِهم، والمبالغةُ في نفورِ الكفّار وعدمِ استجابتهم، وذلك لأنَّ قوله: ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ يحتملُ أن يريدَ الأصنامَ، فيكون تحقيرًا لهم، وردًّا على من عبدها، فإنَّها جمادات لا تسمع شيئًا، فيكون المعنى كالَّذي تقدَّمَ، أو يريد الكفّار، ووصفهم بأنَّهم لا يسمعون، يعني: سماعًا ينتفعونَ به، لإفراطِ نفورِهم، أو لأنَّ اللّه طبعَ على قلوبهم[1].

نـفـيُ الـسَّـمـاعِ مـطـلـقًـا أكـثـرُ دلالـةً على عجزِ آلهتِهم المزعومة

سرُّ المخالفةِ بين قَوْلِه: ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ وقَوْلِه قبلُ: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾:

ذكرَ في الآيةِ السّابقةِ قوله: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾؛ لبيانِ عجزِهم عمّا هو أدنى من النَّصرِ المنفي عنهم وأيسر، وهو مجرَّدُ الدَّلالة على البغيةِ والإرشاد إلى طريق حصولها من غير أن تحصلَ للطّالب، وذكر هنا قوله: ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ أي: دعاءكم فضلًا عن المساعدة والإمداد، وهذا أبلغُ من نفي الاتِّباع، وقال الواحديُّ: إنَّ ما مرَّ للفرقِ بين من تجوز عبادتُه وغيره، وهذا جوابٌ وردٌّ لتخويفهم له ﷺ بآلهتهم[2].

بـيـانُ أنَّ من عجزَ عن الدَّلالةِ والإرشـاد، فـهـو عـاجـزٌ عـن المـسـاعـدةِ والإمدادِ

دلالةُ الواوِ في قولِه: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ﴾:

الواو استئنافيَّةٌ[3]، جُمْلَةٌ مبتدئَةٌ لِبَيانِ عَجْزِهم، أو حاليَّةٌ، أيْ: والحالُ أنَّكَ تَراهُم يَنْظُرونَ إلَيْكَ حال كَوْنِهم لا يُبْصِرونَ[4]، "أي: وترى الأصنامَ رأيَ العين يُشبهون النّاظرين إليك، ويخيَّلُ إليك أنَّهم يبصرونك، لمّا أنَّه صنعوا لها أعينًا مركَّبةً بالجواهر المضيئة المتلألئة، وصوَّروها صورةَ مَنْ قلبَ حدَقتَه إلى الشَّيء ينظُر إليه، والحالُ أنَّهم غيرُ قادرين على الإبصار"[5].

مـاذا ينـفـعُ مـنْ ينظر؛ إذا نظر، ولم يبصر

(1) ابن جزّي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 317/1.
(2) الواحديّ، التَّفسيرُ البسيط: 537/9، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 307/3، والآلوسيّ، روح المعاني: 134/5، 136.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 516/3.
(4) الشّوكانيّ، فتح القدير: 317/2.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 307/3.

دلالةُ الخطابِ في الفعل ﴿وَتَرَىٰهُمۡ﴾:

توجيهُ الخِطابِ إلى كلِّ فردٍ من المشركينَ، أو خطابٍ إلى النَّبيِّ الأمين

في قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾، توحيدُ الضَّمير في (تراهم) مع رجوعِه إلى المشركين لتوجيهِ الخِطابِ إلى كلِّ واحدٍ منهم، لا إلى الكلِّ من حيثُ هو كلُّ الخطاباتِ السّابقةِ تنبيهًا على أنَّ رؤيةَ الأصنامِ على الهيئة المذكورةِ لا تتسنَّى للكلِّ معًا، بل لكلِّ من يواجهها[1].

دلالةُ التَّشبيهِ البليغِ في الآية:

أسوأُ العمى نظرٌ دونَ بصرٍ، ومن عميتْ بصيرَتُه لم ينفعْهُ ناظرُهُ

في قولهِ: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾، لَيْسَ المُرادُ مِنَ النَّظَرِ حَقيقَةَ النَّظَرِ، إنَّما على التَّشبيه: وتراهُم يَنْظُرونَ إلَيْكَ، أيْ: كَأنَّهُم يَنْظُرونَ إلَيْكَ، كَقَوْلِه تَعالَى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحجّ: 2]، أيْ: كَأنَّهُم سُكارَى، هذا قَوْلُ أكْثَرِ المُفَسِّرينَ[2]، أي: يُشْبِهون النّاظرين إليك؛ لأنَّهم صوَّروا أصنامهم بصورةِ مَن قلَب حدَقتَهُ إلى الشَّيء ينظرُ إليه، وهُم لا يُبْصِرونَ، وهم لا يدركون المرئيَّ[3]، وهو من التَّشْبيه البليغ البديع بحَذْف حرف التَّشْبيهِ للْمُبالَغَة، فإن حَمَلْناها على المُشْرِكينَ؛ فالمعنى: أنَّهُم وإنْ كانوا يَنْظُرونَ إلى النّاسِ إلّا أنَّهُم لِشدَّةِ إعْراضِهم عَنِ الحَقِّ لَم يَنْتَفِعوا بذلك النَّظَرِ والرُّؤْيَةِ، فصاروا كَأنَّهُم عُمْيٌ[4]، فإن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله: ينظرون، مجازٌ، وقوله: لا يبصرون، حقيقةٌ؛ لأنَّ لهم صورةَ الأعين، وهم لا يرون بها شيئًا، وإن كان من وصف الكفّار، فـ﴿يَنظُرُونَ﴾ حقيقةٌ، و﴿لَا يُبۡصِرُونَ﴾ مجازٌ على وجه المبالغةِ، كما وصفهم بأنَّهم لا يسمعون[5]؛ فإنَّهم كانوا ينظرون إلى صورةِ النَّبيِّ ﷺ بالحواسِّ الظّاهرة، ولا يبصرون صورةَ نبوَّتِه ومعناه بالحاسَّةِ الباطنةِ الَّتي

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 306/3، 307.
(2) البغويّ، معالم التنزيل: 316/3.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 189/2.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 434/15.
(5) ابن جزّي، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 317/1.

هي بصرُ القلب[1]، أو أنَّها استعارةٌ تمثيليَّة؛ فقد شُبِّهت حالهم الَّتي يلوح لهم فيها الحقُّ ولا يعرفونه، ويبرق لهم النّور ولا يعرفونه، بحال الَّذين ينظرون، ولا يبصرون؛ لأنَّها رؤيةٌ لا ترى الحقَّ، ولا تضع أيديهم عليه، فهم في ضلالٍ مبينٍ، واللّه ﷻ يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم[2].

إيثارُ الفعلِ ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ دون مرادفاتِه:

اتِّساعُ المعنى، وائتلافُ اللَّفظِ مع المعنى، من بليغِ البيان

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾، أوثرَ التَّعبيرُ بالفعل ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ لاتِّساع معناهُ، فهو إمّا من الرُّؤية البصريَّة، وإمّا بمعنى الحسبان، فمَعْناهُ: تَحْسَبُهُم أنَّهُم يَنْظُرونَ إلَيْكَ معَ أنَّهُم في الحَقيقَةِ لا يَنْظُرونَ، أيْ: تَظُنُّ أنَّهُم يَنْظُرونَكَ معَ أنَّهُم لا يُبْصِرونَكَ[3]، مجيءُ فعلِ الرُّؤية متناسبٌ مع النَّظرِ والبصرِ، وكلُّها من وادٍ واحدٍ، وهو من ذروة البلاغةِ وقمَّة البيانِ؛ حيثُ ائتلافُ الألفاظِ مع المعاني.

سرُّ اختيارِ صيغةِ المضارعِ:

من عمِيَ عن الحقائقِ؛ اضطربَ ميزانُهُ في التَّقييمِ والتَّرجيحِ

في قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، صيغةُ المضارعِ هنا تدلُّ على استمرارِ هذه الرُّؤية؛ لاستمرارِ ما هم عليه مِنَ النَّظر، دون البصرِ، سواءٌ أكان المقصودُ الأصنامَ أم الكفّارَ، "أمّا الأصنامُ؛ فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل شيئًا أبدًا، إذ كانت جمادًا لا حياة فيه، ولا شعورًا له، وأمّا المشركون، وإن كانت لهم آذان تسمعُ، وعيونٌ تبصرُ، وعقولٌ تعقلُ، فإنَّهم لا يسمعون إلّا أصواتًا، ولا يبصرون إلّا صورًا، ولا يعقلون إلّا أوهامًا"[4].

التَّعبيرُ عن المفعولِ بضميرِ الغائبينَ:

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾، عدولٌ عنِ التَّعبيرِ باسمِ

(1) ابن القيّم، مدارج السّالكين: 198/3.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3040/6.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 434/15.
(4) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 543/5.

الإشارة، مثلًا: (وترى هؤلاء)، إلى ضميرِ الغائبينَ في ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾، وهو يدلُّ على احتقارِهم والاستهانةِ بهم والتَّهكُّم والسُّخرية منهم، كما يشيرُ الجمعُ إلى أنَّهم سواءٌ في الحكم، فكلُّ واحدٍ من المرئيِّ ينطبقُ عليهِ هذا الحكمُ المذكورُ، فلا يُبصرُ وإن كان يَنظُر، كما يشيرُ ضميرُ الغائبِ إلى غيابِ حاسَّةِ البصرِ أو البصيرةِ، وهم إذْ فقَدوا السَّمع لا يسمعونَ نداءً ولا دعاءً، ممَّن يعبدونهم ولا من غيرهم، وإذْ فقدوا البصرَ، لا يبصرونَ حاله وحال خصمهِ، فكيف يُرجى منهم نصرٌ وشدُّ أزرٍ، أو أيُّ معونةٍ أخرى، أو كيف يُخشى منهم إيصالُ ضُرٍّ وأذًى لمن يحتقرُهم؟[1].

أسلوبُ الاحتقارِ والتَّهكُّمِ والسُّخريةِ، دليلٌ على هوانِهم وقلَّةِ شأنِهم

دلالةُ الفعلِ ﴿يَنظُرُونَ﴾ واستعمالِ صيغةِ المضارعِ في السّياقِ:

التَّعبيرُ بالفعلِ ﴿يَنظُرُونَ﴾ يشيرُ إلى مواجهة موضع العينين لناظريه، كما أنَّ صيغةَ المضارعِ تدلُّ على استمرارِ هذا الحالِ من النَّظرِ الشَّكليِّ الَّذي لا روحَ فيه، أي: وتَراهُم - أيُّها المُخاطِبُ - يَنْظُرونَ إلَيْكَ بما وُضِعَ لهم مِنَ الأعْيُنِ الصِّناعيَّةِ، وجَعْلُها موَجَّهَةً إلى الدّاخِلِ عَلَيْها كَأنَّها تَنْظُرُ إليه، وتَراهُم - أيُّها الرَّسولُ - يَنْظُرونَ إلَيْكَ، وهُم لا يُبْصِرونَ ما أوتيتَ مِن سَمْتِ الجَلالِ والوَقارِ الَّذي يُمَيَّزُ به صاحِبُ البَصيرَةِ بين أولي الجِدِّ والعَزْمِ، والصِّدْقِ في القَوْلِ والفِعْلِ، وبين أهْلِ العَبَثِ والهَزْلِ[2].

الإشـــارةُ في فعلِ الاستمرارِ (يَنْظرونَ)، إلى مواجهة موضعِ عينيْ ناظريه

فائدةُ الجارِّ والمجرورِ ﴿إِلَيْكَ﴾، ودلالته الإعرابيَّة:

قولهُ: ﴿إِلَيْكَ﴾ جارٌّ ومجرور متعلِّق بالفعل ﴿يَنظُرُونَ﴾ فالنَّظَرُ المَقْرونُ بحَرْفِ (إلى) لَيْسَ اسْمًا لِلرُّؤْيَةِ، بَلْ لِمُقَدِّمَةِ الرُّؤْيَةِ، وهي تقليبُ الحدقةِ نحو المرئيِّ التماسًا لِرُؤْيَتِه[3]، يفيد تنبيهَ المخاطب

شبـهُ الجملةِ (إلَيْكَ) يفيدُ تنبيهَ المخاطبِ إلى جمودِ نظرِهم تُجاهَ المقابلِ

(1) المراغيّ، تفسير المراغي: 146/9.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 443/9.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 730/30.

إلى جمودِ نظرهِم؛ حتَّى لا يتوهَّم أنَّ لهم بصرًا يرون به، كما يفيد أنَّهم يصوِّبون نظرهم تُجاه المقابل، إمّا صناعةٌ - كما في الأصنامِ - وإمّا طبيعةٌ - كما في الكفّار - فلو قيل: (ينظرون وهم لا يبصرون) من دون (إليك)؛ لَما أدَّى مؤدّاه.

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وأثرُها في المعنى:

الواوُ للحال، وجملةُ ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ حالٌ من الفاعلِ في ﴿يَنظُرُونَ﴾، أي: إنَّ نفي إبصارهم مستمرٌّ، كلَّما رآهم الرّائي ينظرون، ولو قيل: (وتراهم ينظرون إليكَ في حين أنَّهم لا يبصرون)؛ لأفادَ أنَّ نفيَ الإبصارِ راجعٌ إلى توهُّمِ الرّائي، لا إليهم.

الواوُ للحالِ، أي: إنَّ نفيَ إبصارِهم مستمرٌّ

تقديمُ المسندِ إليهِ على خبرِهِ الفعليّ:

في قولهِ تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تقدَّمَ المسند إليه ﴿وَهُمْ﴾، على المسندِ ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ لتقويَةِ الخبر، وإفادةُ القصرِ - موصوف على صفة - للمبالغةِ، وفيه تعريضٌ بحمقِ هؤلاء الكافرين، قد أنعمَ اللّهُ عليهم بنعمةِ البصرِ، فهم يرون، وهذه الأصنامُ لا تبصرُ، بل هي وحدَها الَّتي لا تبصرُ، ومن عداها ممَّن يعبدونها يبصرون، أو تعريضٌ لطيفٌ بمن أبصرَ نورَ النُّبوَّةِ من المؤمنين، أي: إن لم يكن هؤلاءِ الكافرون قد أبصروا، فهناك من اصطفاهُم اللّهُ، وأكرمَهم بنورِ الهدايةِ على أنَّ الكلامَ في (وتراهم) أي: وترى الكافرين، وليس الأصنامَ.

تقويةُ الخبرِ، وإفادةُ القصرِ في التَّقديمِ والتَّأخيرِ لعناصرِ الإسنادِ

إيثارُ استعمالِ الفعلِ ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾، وأثرُ المضارعِ في السّياق:

واستعمالُ البصرِ دونَ المشاهدةِ أو الرُّؤية؛ لأنَّ نفيَ البصرِ نفيٌ لما عداها، وليلفتَ الانتباهَ إلى عجزِهم، وليدخلَ فيه نفيُ التَّدبُّر والتَّأمُّل والانتفاع بالنَّظر، وهذا المعنى يتَّفق والقولَ بأنَّ الكلامَ على الكافرين لا على الأصنامِ، أي: وترى المشركين ينظرونَ إليك، وهم لا يبصرونَ، أي: إنَّهم ينظرون إليك حقيقةً، ولكن لا يتدبَّرون،

نفيُ البصرِ نفيٌ للمشاهدةِ أو الرُّؤيةِ، وهو غايةُ العجزِ عن الإبصار

ولا يتفكَّرون، فيستدلّون بأحوالِكَ على ما تدلُّ عليه من الصِّدق والأمانةِ والنَّصيحةِ وحقيَّةِ النُّبوَّةِ، وإذا كان كذلك، فنظرهم معطَّل عن الفائدةِ المقصودة؛ لأنَّ النَّظرَ إنَّما خلقَهُ الله تعالى؛ لينقل إلى العقلِ صورَ الموجودات، فيستفيدَ منها، وإذا خلا الشَّيء عن الفائدةِ الَّتي كان لأجلها، فهو في معنى المعدومِ، وهذا المعنى شائعٌ ذائع في العربيَّة، كثيرٌ في القرآنِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الهُدى والهدايةُ:

الهُدَى والهِدايَةُ في مَوْضوعِ اللُّغَةِ واحِدٌ، ولَكِنْ قد خَصَّ اللهُ ﷻ لَفْظَةَ الهُدَى بما تَوَلّاهُ وأعْطاهُ، واخْتَصَّ هو به دونَ ما هو إلى الإنْسانِ[2]، والهِدايَةُ الدَّلالَةُ بتَلَطُّفٍ؛ ولِذلك خُصَّتْ بالدَّلالَةِ لِما فيهِ خَيْرُ المَدْلولِ؛ لِأنَّ التَّلَطُّفَ يُناسِبُ مَنْ أُريدَ به الخَيْرُ، وهو يَتَعَدَّى إلى مَفْعولٍ واحِدٍ بنَفْسِه؛ لِأنَّ مَعْناهُ معنى الإرْشادِ، ويَتَعَدَّى إلى المَفْعولِ الثّاني، وهو المُهْدَى إليه بإلى وباللّام، والاسْتِعْمالانِ واردانِ، تَقولُ هَدَيْتُهُ إلى كَذا على معنى أوصَلْتُهُ إلى مَعْرِفَتِه، وهَدَيْتُهُ لِكَذا على معنى أرْشَدْتُهُ لِأجْلِ كَذا، قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصّافات: 23]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: 43]، وقد يُعَدَّى إلى المَفْعولِ الثّاني بنَفْسِه، كَما في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: 6]، على تَضْمينِه معنى عَرَفَ، قيلَ: هيَ لُغَةُ أهْلِ الحِجازِ، وأمّا غَيْرُهُمْ؛ فلا يُعَدّيه بنَفْسِه، وقد جَعَلوا تَعْديَتَهُ بنَفْسِه مِنَ التَّوَسُّعِ المُعَبَّرِ عنه بالحَذْفِ والإيصالِ، وقيلَ: الفَرْقُ بين المُتَعَدّي وغَيْرِه: أنَّ المُتَعَدّيَ يُسْتَعْمَلُ في الهِدايَةِ لِمَنْ كانَ في الطَّريقِ ونَحْوِه؛ لِيَزْدادَ هُدًى، ومَصْدَرُهُ حينَئِذٍ الهِدايَةُ، وأمّا هَداهُ إلى كَذا أو

الـهُـدى خـاصٌّ بـاللـهِ تـعـالى، والـهـدايـةُ دلالـةٌ بتلطُّفٍ لما فيهِ خيرٌ

(1) عبد الرّحمن اليمانيّ، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله: 479/2.
(2) الرّاغب، المفردات: (هدى).

لِكَذا؛ فيُسْتَعْمَلُ لِمَنْ لَم يَكُنْ سائِرًا في الطَّريقِ، ومَصْدَرُهُ هُدًى، وفيه تفصيل ليس هذا محلَّه[1].

الهدى والرَّشادُ:

الإرْشاد إلى الشَّيْء: هو التَّطريق إليه والتَّبيُّنُ لَهُ، والهِدايَة هيَ التَّمَكُّن مِنَ الوُصول إليهِ، وقد جاءَتِ الهِدايَة للمهتدي في قَوْله تَعالَى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6]، لم يجئ مثل ذَلِك في الإرْشاد، ويُقال أيْضًا: هداه إلى المَكْروهِ، كَما قالَ اللّه تَعالَى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصّافات: 23]، وقالَ تَعالَى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ ۝٦٧﴾ [الحجّ: 67]، ولا يُقال: أرشده إلّا إلى المحبوب[2].

الإرشادُ دلالةُ بيانٍ، والهُدى تمكينٌ من الوصولِ بالدَّلالة أو بالتَّوفيق

الهُدى والبيانُ:

إنَّ البَيان في الحَقيقَة: إظْهار المَعْنى للنَّفس كائِنًا ما كانَ، فهو من قبيل القَوْل، والهدى: بَيانُ طَريق الرُّشد؛ ليسلك دونَ طَريق الغيِّ؛ إذا أطلق، فإذا قيِّد؛ اسْتعْمل في غَيره، فقيل: هدى إلى النّارِ وغَيرها[3].

البيانُ: إظهارُ المعنى أو المبنى، والهُدى: بيانُ الطَّريق الموصل

النَّظَرُ والبَصرُ:

أصلُ النَّظرِ: المقابلةُ، فالنَّظرُ بالبصر، الإقبالُ به نحو المبصَر، ولذلك قد ينظر ولا يراه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾، وأصلُ البصر: هو صحَّةُ الرُّؤية، ويؤخذُ منهُ صفة مُبصرٍ بمعنى: راءٍ، والرّائي: هو المدرك للمرئيِّ[4]، واسْتِعْمالُ النَّظَرِ في البَصَر أكثر عند العامَّة، وفي البصيرة أكثرُ عِنْد الخاصَّة[5].

النَّظرُ الإقبالُ بالعينين نحو المبصَرِ، والبصرُ الرُّؤيةُ والإدراكُ

النَّظرُ والرُّؤيةُ:

النَّظَرُ: غَيْرُ الرُّؤْيَةِ، فقد يكونُ النَّظَرُ حالَ عَدَمِ الرُّؤْيَةِ، كما أنَّ

(1) للاستزادة ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 188/1.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 209.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 209.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويَّة، ص: 544.
(5) الكفويّ، الكليّات، ص: 906.

الـرُّؤْيَـةُ: غـايَـةٌ لِلنَّظَرِ، والنَّظرُ: الإبصار والتَّفكُّر

النَّظَرَ يوصَفُ بما لا توصَفُ به الرُّؤْيَةُ، يُقالُ: نَظَرَ إليه نَظَرًا شَزَرًا، ونَظَرَ غَضْبانَ، ونَظَرَ راضٍ، وكُلُّ ذلك لِأَجْلِ أنَّ حَرَكَةَ الحَدَقَةِ تَدُلُّ على هذه الأحْوالِ، ولا توصَفُ الرُّؤْيَةُ بشَيْءٍ مِن ذلك، فلا يُقالُ: رَآهُ شَزَرًا، ورَآهُ رُؤْيَةَ غَضْبانَ، أو رُؤْيَةَ راضٍ، ويُقالُ: انْظُرْ إليه حَتَّى تَراهُ، ونَظَرْتُ إليه، فرَأَيْتُهُ، وهذا يُفيدُ كَوْنَ الرُّؤْيَةِ غايَةً لِلنَّظَرِ، وذلك يوجِبُ الفَرْقَ بين النَّظَرِ والرُّؤْيَةِ[1].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 730/30.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»